(٢٦) فضل بر الوالدين وخطر عقوقهما

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء : ٢٣- ٢٤).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ أي: أمر وأوصى عباده بعبادته وحده لا شريك له.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ أي: وأمر بالإحسان للوالدين ، والله عَزَّوَجَلَّ قرن بعبادته بر الوالدين فقال عز شأنه: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، كما قرن شكرهما بشكره ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان : ١٤).

وقوله :﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ ، أي : لا تسمعهما قولًا سيئًا ، ولا حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ.

وقوله:﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾: أي: لا تزجرهما.

وقوله ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي : قولًا لينًا طيبًا حسنًا مرضيا.

وقوله :﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

أيها المؤمنون : لقد وردت أدلة ونصوص عظيمة وكثيرة في فضل بر الوالدين ، وفي خطورة عقوقهما وهذه بعض الأدلة في ذلك:

عباد الله : بر الوالدين من أعظم الطاعات ، ومن أجل القربات عند الله عَزَّوَجَلَّ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟، قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**ثم بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**» .(١)

فانظر - يا أخي المسلم- كيف قدَّم النبي ﷺ بر الوالدين في هذا الحديث على الجهاد في سبيل الله ، وبين هذا الحديث أن بر الوالدين أحب

(١) البخاري برقم (٥٢٧) ومسلم برقم (٨٥) .

الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة.

وفي الصحيحين[١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وقرن شكر الوالدين بشكره فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ لقمان: ١٤).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: من شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.[٢]

ولقد أوصى الله بالإحسان إلى الوالدين في كثير من مواضع القرآن:

فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

---

(١) البخاري برقم (٣٠٠٤) ومسلم برقم (٢٥٤٩).
(٢) الكبائر للذهبي ص(٥٧).

وقوله تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جهدًا على جهد.

وقال عطاء الخرساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ضعفًا على ضعف.

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مشقة وهن الولد [١]

وقوله تعالى: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢]: أي قاست في حمله مشقة وتعبًا من وحام وغثيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ﴿ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ ﴾، أي بمشقة أيضًا من الطلق وشدته.

وفي مُسند الإمام أحمد [٣] عن المقدام بن معدي كرب الكندي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**».

إن للوالدين حقًا علينا بعد حق الإله في الاحترام
أوجدانا وربيانا صغارا فاستحقا نهاية الإكرام

والبر لا يقوم به إلا أهل الصلاح والتقوى من الأنبياء والصالحين، فلقد مدح الله الأنبياء وأثنى عليهم، وأخبر عنهم أنهم كانوا بارين بالوالدين،

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٤٢٩).
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(١٥٩).
(٣) أحمد برقم (١٧١٨٧) حسنه شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقال تعالى عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ (مريم : ١٢-١٤).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾(مريم: ٣٠-٣٣).

وقال تعالى إخبارًا عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات : ١- ٢).

وقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (نوح : ٢٨).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم : ٤١).

ولقد أخذ الله العهد والميثاق على بني إسرائيل أن يحسنوا للوالدين ، فقال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة : ٨٢).

أيها المؤمنون : إن بر الوالدين من الأسباب العظيمة في دخول الجنة ،

ففي مُسند الإمام أحمد [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالت: قال رسول الله ﷺ: « **نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان** ، فقال رسول الله ﷺ : «**كذاك البر، كذاك البر**» وكان أبر الناس بأمه.

وبر الوالدين سبب في تفريج الكروب ، وذهاب الهموم والأحزان وتهوين المصائب والشدائد ففي الصحيحين [٢] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال: « **بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء**» .

وفي جامع الترمذي [٣] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**» .

أيها المؤمنون : ما خص الله الوالدين بهذه المنزلة الرفيعة والعناية

---

(١) أحمد برقم (٢٥١٨٢) صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (٥٩٧٤) ومسلم برقم (٢٧٤٣) .
(٣) الترمذي برقم (١٨٩٩) وقال العلامة الألباني صحيح.

الرفيعة إلا لما قدماه لنا ، وبذلاه لراحتنا فها هي الأم حنونة رحيمة ، وها هو الأب شفيق عطوف ، ولربما بلغت بهما شدة الشفقة والرحمة إلى أن يصابا ببعض الأمراض : كالعمى والهلاك من البكاء على فقد أولادهما، كما حصل لنبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يوسف : ٨٤- ٨٦).

ولما جاءته البشرى بقدومه وألقوا قميص يوسف على وجهه ارتد بصيرًا ، فلا إله إلا الله ما أعظم حنانه!! قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٩٦).

وهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ انظر إلى رحمته وشفقته على ابنه عندما ركب في السفينة ، دعا ولده أن يؤمن ويركب معهم ولا يكون مع الكافرين ، فيغرق كما يغرقون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (هود : ٤٢-٤٣).

فلما عصى الابن والده نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبى أن يركب في سفينة النجاة فهلك مع الهالكين،فلم يزل نوحًا مشفقًا عليه، فنادى ربه قائلًا : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود : ٤٥ -٤٦).

وهذه أم موسى حين ذهب ولدها في البحر ، وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى ، حتى إنها من شدة وجدها وأسفها وحزنها كادت أن تظهر أنه ذهب ولدها وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (القصص : ١٠).

فيأيها المؤمنون : لن تستطيعوا أن تجازوا الوالدين على إحسانهما مهما بذلتم ، فحقهما أعظم وبذلها أجزل ، ولذلك جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يجزي ولد والدًا، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**»، وفي رواية ابن أبي شيبة: «**ولد والده**» .[١]

وها هو ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرى رجلًا يمانيًا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره و يقول:

إني لها بعيرها المذلل إن أُذ عرت ركابها لم أذعر

ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها قال: لا ، ولا بزفرة واحدة ، ثم طاف ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأتى المقام فصلى ركعتين ، ثم قال: يا ابن أبي موسى إن كل ركعتين تكفران ما أمامهما .[٢]

هذا وإنه مما لا شك فيه أن حق الأم أعظم من حق الأب بكثير ، ففي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال:

(١) مسلم برقم (١٥١٠) .
(٢) البخاري في الأدب المفرد برقم (١١) وصححه العلامة الألباني.
(٣) البخاري برقم (٥٩٧١) ومسلم برقم (٢٥٤٨) .

ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك».

وعند النسائي في الكبرى [١] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت النبي ﷺ أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟، قال: «**زوجها**» قلت: فأي الناس أعظم حقًا على الرجل؟، قال: «أمه» .

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن امرأة قالت يا رسول الله : إن ابني هذا كان بطني له وعاءً ، وثديي له سقاءً ، وحجري له حواءً، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني ، فقال رسول الله ﷺ : «**أنتِ أحق به ما لم تنكحي**» [٢] .

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من بر الوالدة [٣] .

معاشر المؤمنين : لهذا كان عقوق الوالدين من أكبر الذنوب وأعظم الكبائر ، ففي البخاري ومسلم[٤] عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال** » .

و في البخاري ومسلم[٥] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **الإشراك بالله،**

---

(١) السُنن الكبرى للنسائي ج٥(٣٦٣) وهو حديث صحيح .
(٢) أبو داود برقم (٢٢٧٦) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح أبي داود.
(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم(٤)وصححه المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم(٢٧٩٩).
(٤) البخاري برقم (٥٩٧٥) ومسلم برقم (٣٩٥) .
(٥) البخاري برقم (٥٩٧٦) ومسلم برقم (٧٨) .

وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور « فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت».

وفي البخاري[1] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال: « الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، ....» الحديث.

عباد الله : عقوق الوالدين من علامات الشقاوة والجبروت، قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾(مريم: ٣٢).

وعقوق الوالدين من علامات العصيان قال تعالى عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (مريم : ١٤)

والعقوق مأخوذ من العق وهو القطع ، وقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء : ٢٤).

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من؟ يا رسول الله قال: **«من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»** .

قال الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ : لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أف لحرمه.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقذرهما كما كانا لا يقذرانك.

---

(١) البخاري برقم (٥٩٧٧) .
(٢) مسلم برقم (٢٥٥١) .

ولقد كان السلف الصالح في غاية من البر والأدب مع الوالدين ، فهذا رفاعة بن إياس -رحمه الله تعالى- قال:رأيت الحارس العكلي في جنازة أمه يبكي فقيل له: تبكي؟، فقال:ولم لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة.

وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا كان عند مه لو رآه رجل ظن أنه به مرضًا من خفض كلامه عندها.

وعن ابن عون المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أمه نادته فأجابها فعلا صوته فأعتق رقبتين.

وهذا بندار المحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال عنه الذهبي : جمع بين حديث البصرة ولم يرحل برًا بأمه.

وكان يقول : أردت الخروج لطلب العلم فمنعتني أمي فأطعتها فبورك لي فيه.

وكان طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من العباد والعلماءوكان يُقبِّل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالًا لها.

وقال طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن من السُّنَّة أن يوقر أربعة : العالم وذو الشيبة والسلطان والوالد.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بر الوالدين كفارة الكبائر[1].

أيها المسلمون: من مظاهر العقوق إبكاؤهما، وإحزانهما ونهرهما ، وزجرهما ، والتأفف والتضجر من أوامرهما ، والنظر إليهما شزرًا ، والعبوس في وجهيهما ، وترك مساعدتهما وقلة الاعتداد برأيهما ، ذمهما

(١) رسائل في التربية للحمد ص(٥٣ -٥٧).

والقدح فيهما شتمهما ولعنهما.

ومن العقوق : البخل والتقتير عليهما ، وهجرهما وترك نصحهما ، وتقديم طاعة الزوجة والأولاد على طاعتهما ، بل لو طلبت من أن يطرد والديه لطردهما ، و أن غاية البشاعة ونهاية القبح والشنار أن يودعهما دور العجزة والملاحظة ، وقد يتمنى زوالهما ليتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين ، ذلك هو الضلال البعيد ، تبًا لهؤلاء وسحقًا [١].

والحمد لله رب العالمين .

(١)نفحات من منبر رسول الله ﷺ للشيخ عبد الباري الثبيتي المجموعة الثانية ص(١٥٢ -١٥٣).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، والشكر له وهو أهل الجود والامتنان، أوجب معاملة الوالدين بوجوه الإحسان ، وحتم طاعتهما في غير معصية الرحمن ، ووعد الممتثلين بفسيح الجنان ، وتوعد العاصين بحر النيران ، ثم الصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار ، وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون : فإن من أعظم بر الوالدين دعوتهما إلى السُّنَّة، ودعوتهما إلى التوحيد الخالص ، فهذا إمام الموحدين إبراهيم علسه الصلاة والسلام قال الله تعالى عنه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ (مريم : ٤١- ٤٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي،

فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اهد أُمّ أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم حبب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[١]

ومن بر الوالدين الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما ، قال تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء :٢٤).

وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** » .

والله من فضله وكرمه جَلَّ جَلَالُهُ يرفع الوالدين في درجات الجنة بسبب دعاء الولد لهما ، ففي مُسند أحمد[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٩١).
(٢) مسلم برقم (١٦٣١).
(٣) أحمد برقم (١٠٦١٠) حسن الإسناد.

رسول الله ﷺ : « **إن الله عَزَّوَجَلَّ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك** » .

ومن البر الصيام عنهما إذا ماتا وعليهما صيام: ففي الصحيحين [١] ، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: «**أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟**» قالت: نعم، قال: «**فدين الله أحق بالقضاء**» .

وفي الصحيحين[٢] عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» .

ومن البر الحج عن الوالدين: جاء في صحيح مسلم[٣] عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ ، إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «**وجب أجرك، وردها عليك الميراث**» قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: «**صومي عنها**» ، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: «**حجي عنها**» .

ومن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ، ففي صحيح مسلم [٤] ، عن عبد الله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» .

---

(١) البخاري برقم (١٩٥٣) ومسلم برقم (١١٤٨)
(٢) البخاري برقم (١٩٥٢) ومسلم برقم (١١٤٧)
(٣) مسلم برقم (١١٤٩)
(٤) مسلم برقم (٢٥٥٢)

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ، ومن له حق علينا ، اللهم اصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا وتوفانا وأنت راضٍ عنا ، اللهم وفق ولاة أمرنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ، واجمع كلمتهم ووحد صفوفهم ، وانصرهم على أعدائهم ، يارب العالمين ، اللهم احفظ لنا ديننا.

والحمد لله رب العالمين .